تصميم : همس الجنة
DNA
ميادة
عائشة قلمي سرتاوي

ميـــــادة

عائشة قلمي سرتاوي

دار فضاء المعرفة للنشر الالكتروني

من إصدارات دار فضاء المعرفة للنشرالإلكتروني

رواية: ميادة

للكاتبة: عائشة قلمي سرتاوي

نبذة عن الرواية:

حين تظن أن حياتك مستقرة، وأن كل شيء في مكانه... قد تنقلب الحقيقة فجأة.

(ميادة)، فتاة نشأت على حب أسرة احتضنتها منذ الطفولة، لكنها لا تعرف أن جزءًا منها يعيش في عالمٍ آخر.

حين تلتقي بـ(سراج) الذي يشبهها بشكل لا يُصدق، يبدأ الشك في التسلل إلى قلبها...

تصميم الغلاف وموك اب: همس الجنة

تنسيق داخلي: رويدا رمضان

مديرة الدار: مرح إبراهيم سلوم

مع دار فضاء المعرفة للنشر الإلكتروني حلمك يصبح على أرض الواقع.

الإهـــــداء

إلى كل من عاش نصف حكاية

إلـــى القلـــوب التـــي تبحـــث عـــن وجههـــا فـــي مرايا الآخرين،

إلى التوائم التي فرّقتها الحياة،

إلـــــى أمٍّ فقـــــدت ابنتهـــــا، وابنـــــةٍ وجـــــدت طريقها...

إليـــكِ يـــا "ميـــادة" الحقيقيـــة التـــي فـــي داخلي.

كلمـــة شكـــر

أتقـــدم بالشـــكر لكـــل مـــن آمـــن بـــي حـــين شككتُ بنفسي،

ولكـــل مـــن منحنـــي كلمـــة طيبـــة، أو وقتًـــا ثمينًا قرأ فيه حرفًا من كلماتي.

شكرًا لصديقاتي، ملهماتي الحقيقيات،

ولعـــائلتي التـــي منحتنـــي حبًـــا يجعلنـــي أكتـــب بثقة.

ولكل قارئ أمسك هذا الكتاب، أقول لك:

وجودك هنا... هو أجمل دعم.

مـقدمـــــــــة

حـــين كتبـــت "ميـــادة"، لـــم أكـــن أكتـــب قصـــة فتـــاة فُقـــدت، بـــل كنـــت أكتـــب عـــن آلاف الأرواح التـــي تشـــعر بالغربـــة بـــين مـــن يفترض أنـهم الأقرب.

هـــذه الروايـــة خرجـــت مـــن قلبـــي مباشـــرة، وفـــي كـــل ســـطر منهـــا كنـــت أســـأل نفســـي: ماذا لو كنت مكانـها؟

بـــين صـــفحاتها ألـــم، وحـــب، وكشـــف... وربما غفران.

لا أدّعـــي أن هـــذه الحكايـــة خياليـــة تمامًـــا، لأنهـــا تشـــبه فـــي تفاصـــيلها الكثيـــر مـــن القصص الواقعية...

لكنني كتبتها بروحٍ صادقة، لتكون مرآة لكل من فقد، وبوصلة لكل من يبحث عن نفسه.

دار فضاء المعرفة للنشر الالكتروني

لـــم تكـــن القصـــة فـــي قـــديم الزمـــان، ولا فـــي حاضـــر الأوان، بـــل فـــي عـــالمٍ مـــن الخيـــال، تُروى حكاية فتاة تُدعى ميادة.

كانـــت تســـكن فـــي مدينـــة غريـــان، الواقعـــة غـــرب ليبيـــا، حيـــث عاشـــت طفولتهـــا هنـــاك مع والديها وإخوتها.

وفـــي عمـــر الخامســـة، فقـــدت ميـــادة والـــدها، لكنهـــا لـــم تكـــن تعلـــم أنـــه قـــد تـــوفي؛ كانـــت تظـــن أنـــه ســـافر، فكانـــت تســـأل عنـــه دومًـــا، وكانـــت والـــدتها تـــرد عليهـــا دائمًـــا بـــنفس العبارة: "لقد سافر، وسيعود قريبًا".

مـــرت ســـنتان، ودخلـــت ميـــادة المدرســـة، فـــي نهايـــة الفصـــل الدراســـي، أقـــيم حفـــل لتوزيـــع الشـــهادات، فطلبـــت ميـــادة مـــن

والـــدتها أن تتحـــدث مـــع والـــدها ليحضـــر الحفل.

أجابتهـــا الأم قائلـــة: ســـأذهب معـــك أنـــا. لكنها ردّت: لا، أريد أبي .

وفـــي يـــوم الحفـــل، ذهبـــت ميـــادة مـــع والدتها، لكن والدها لم يأتِ.

كانـــت تنظـــر إلـــى بقيـــة الأطفـــال وهـــم يركضـــون نحـــو آبـــائهم، بينمـــا عيناهـــا تمتلئ بالحزن والدموع.

عادت إلى البيت وسألت أمها:

-إلـــى أيـــن ذهـــب أبـــي؟ لمـــاذا لا يريـــد أن يأتي؟

نظـــرت إليهـــا الأم بحنـــان وحـــزن وقالـــت: اســـمعي يـــا صـــغيرتي... والـــدك ذهـــب إلـــى

مكـــان بعيـــد، إلـــى الســـماء، ســـتتمكنين مـــن رؤيتـــه فـــي الليـــل، بـــين النجـــوم، لقـــد ســـكن إحدى النجوم، يا ميادة.

سألتها الطفلة البريئة:

-ولماذا تركني؟ أريد أن أذهب إليه.

ردّت أمهـــا: النجـــوم لا يســـكنها الصـــغار يـــا حبيبتي... فقط الكبار.

ظلـــت ميـــادة تفكـــر بكلمـــات أمهـــا طـــوال الليل.

مرت الأعوام، وكبرت ميادة.

وبعـــد 13 ســـنة مـــن الفقـــد، أصـــبحت فتـــاة ناضـــجة، عمرهـــا 20 عامًـــا، وبـــدأت دراستها الجامعية في كلية الهندسة.

فـــي الجامعـــة، كـــان هنـــاك شـــاب يُـــدعى سـراج، يـــدرس نفـــس التخصـــص، ولاحظـــت صـــديقاتها هبـــة وشـــيماء أن ســـراج يشـــبه ميـــادة بشـــكلٍ غريـــب، فكـــن يمـــزحن معهـــا دومًا:

-يمكن يكون شقيقك!

وكانـــت تضـــحك، لكنهـــا فـــي داخلهـــا شـــعرت بفضولٍ عجيب.

ذات يـــوم، لاحظـــت أن ســـراج يتصـــرف بطريقـــة تشـــبهها كثيـــرًا، فقـــررت أن تقتـــرب منه.

ذهبـــت إليـــه فـــي الاســـتراحة وطلبـــت منـــه دفتـــره، ثـــم أعادتـــه لـــه، وطلبـــت رقـــم هاتفـــه بحجـــة المراجعـــة والمـــذاكرة، وبـــدأ التواصل بينهما عبر "واتساب".

ومـــع مـــرور الأيـــام، أصـــبحا صـــديقين مقربين.

فـــي عطلـــة نهايـــة الفصـــل الأول، جلســـت ميادة تفكر كثيرًا...

هـــل يعقـــل أن يكـــون ســـراج أخـــي؟ ولكـــن كيف؟

ذهبت إلى والدتها وسألتها:

-أمي، هل لدي أخ مفقود؟

صُدمت الأم، ونظرت إليها بارتباك.

قالـــت: مـــا هـــذا الكـــلام يـــا ميـــادة؟ لا، لـــيس لديك أخ، فقط تخيلات.

لكن ميادة لاحظت توتر أمها، ولم تقتنع.

قررت أن تكتشف الحقيقة بنفسها.

أخبـــرت صـــديقتيها هبـــة وشـــيماء وقالـــت: أنـــا جـــادة، أريـــد أن أعـــرف، هـــل ســـراج أخي فعلاً؟

تفاجأتا، ثم وافقتا على مساعدتها.

قالـــــت ميـــــادة: نحتـــــاج لتحليـــــل DNA، أحتاج خصلة شعر من سراج.

فكـــرن فـــي طريقـــة، فـــذهبن جميعًـــا إلـــى ســـراج بحجـــة ســـؤال عـــن مـــادة "هندســـة البرمجـــة"، وفـــي لحظـــة مناســـبة، أخـــذت ميادة خصلة من شعره، دون أن يشعر.

ذهبـــت إلـــى المختبـــر وقـــدمت عينتهـــا وعينـــة سراج، ثم انتظرت 10 أيام.

فـــي اليـــوم العاشـــر، ذهبـــت ميـــادة برفقـــة صـــديقتيها إلـــى المختبـــر، وكانـــت ترتجـــف

مـــن التـــوتر، فتحـــت النتيجـــة، وإذا بهـــا صـــدمة: النتيجـــة إيجابيـــة! ســـراج هـــو شقيقها فعلًا!

انهـــارت مـــن الصـــدمة، وطلبـــت مـــن صديقتيها ألا يخبرن أحدًا.

ذهبـت إلـى البيـت، وعقلهـا مشـغول بسـؤالٍ واحد:

-لمـــاذا لـــم تخبرنـــي أمـــي؟ لمـــاذا أخفـــت الحقيقة؟

مـع نهايـة الفصـل الثـاني، لـم تحتمـل ميـادة الصمت أكثر.

ذهبـت إلـى سـراج، وقالـت لـه: سـراج، مـاذا لو كنت أخي؟

تفاجأ وقال: ماذا تقولين؟!

ردّت: أقصد... ماذا لو كنا أخوين؟ هل تظن هذا ممكنًا؟

لم يجبها سراج، فقط نظر إليها باستغراب، ثم ابتعد.

وفي الليل، جلست ميادة مع أمها على مائدة الطعام، وسألتها للمرة الأخيرة: أمي... هل لدي أخ مفقود؟

أجابت الأم بانزعاج:

-من أين تأتيك هذه الأفكار؟ من الذي يملأ عقلك بهذا الكلام؟! دعينا من هذا الحديث، عزيزتي...

لكن قلب ميادة لم يهدأ، وكان يعرف أن الحقيقة لا يمكن أن تُخفى طويلًا.

فـــي ليلـــة خريفيـــة بـــاردة، جلســـت ميـــادة علـــى شـــرفتها تتأمـــل الســـماء، تلـــك النجـــوم التـــي كانـــت تمثـــل فـــي صـــغرها بيتًـــا لوالـــدها، لكنها الآن تعرف أن الحقيقة مختلفة.

كانـــــت تتأمـــــل النجـــــوم، ودمعـــــة صـــــامتة تنزلـــق علـــى خـــدها، تُخفـــي وراءهـــا ســـنوات من الغياب، وسؤالًا لم يُجب عليه بعد:

لمـــاذا تـــم إخفـــاء ســـراج؟ ولمـــاذا كـــل هـــذا الصمت؟

فـــي صـــباح اليـــوم التـــالي، قـــررت ميـــادة أن تـــذهب لزيـــارة جـــدتها — والـــدة والـــدها — التـــي لـــم تكـــن تراهـــا إلا نـــادرًا، إذ كانـــت أمها دائمًا تُبعدها عنها.

دخلـــت ميـــادة بيـــت الجـــدة، فقابلتهـــا العجـــوز بابتسامة باهتة وملامح حزينة.

قالـــت ميـــادة: جـــدتي، أريـــد أن أســـألك سؤالًا... وأرجوكِ، لا تُخفي شيئًا عني.

نظـــرت إليهـــا الجـــدة، وكأنهـــا كانـــت تنتظـــر هذا اليوم منذ سنوات.

قالـــت ميـــادة بصـــوت مرتجـــف: هـــل لـــدي أخ يُدعى سراج؟

ســـكتت الجـــدة طـــويلًا، ثـــم تنهـــدت وقالـــت: لقـــد حـــان الوقـــت لتعرفـــي الحقيقـــة يـــا ابنتـــي... نعـــم، ســـراج هـــو شـــقيقك مـــن أبيك.

ثـــم أضـــافت بصـــوت مكســـور: كـــان والـــدك رجـــلاً صـــالحًا، لكنـــه وقـــع فـــي حـــب امـــرأة أخـــرى فـــي لحظـــة ضـــعف... كانـــت تلـــك المـــرأة مريضـــة بـــالغيرة والكراهية،عنـــدما

علمت والدتك بالأمر، واجهته، فحدثت مشاجرة كبيرة.

في تلك الليلة... قُتلت المرأة في حادث غامض، وقيل إن والدك هو القاتل... لكنه اختفى بعدها، ومعه الطفل، سراج.

مرّت شهور قبل أن يُكتشف جثمان والدك مقتولًا... وقيل إن أهل المرأة هم من انتقموا منه."

صُدمت ميادة، وتجمد الدم في عروقها.

قالت الجدة: أمك لم تحتمل فكرة أن تعيش تحت سقف واحد مع ابن المرأة التي تسببت في موت زوجها... فرفضت تربية سراج، وتم تسليمه لدار رعاية، ثم تبنّته عائلة قريبة منّا دون علمك.

غطـــت ميـــادة وجههـــا بيـــديها، وبكـــت بحرقة.

همست: وهل يعرف سراج الحقيقة؟

قالــت الجــدة: لا... لــم يُخبــره أحــد بشــيء. لقـد نشـأ وهـو يظـن أنــه يتـيم مـن جهـة الأب والأم.

غــادرت ميــادة منــزل الجــدة، وهــي تحمــل فــوق قلبهــا جبــالًا مــن الــذهول والحــزن... لكنهـــا الآن عرفـــت: ســـراج لـــيس فقـــط شقيقها... بل ضحية مثلها.

فــي يــوم آخــر، جلســت ميــادة مــع أمهــا فــي المطــبخ، وقالــت بصــوتٍ ثابــت: أمــي، لمــاذا كرهتِ سراج؟ لماذا تركته وحده؟

تجمـــد وجـــه الأم، وصـــرخت: لأنـــي فقـــدت والـــدك بســـببه!، بســـبب تلـــك المـــرأة التـــي

كانـــت كـــل شـــيء عنـــده، تركنـــي، تركـــك، وذهب ليعيش معها... ثم قُتل!

قالـــت ميـــادة: لكنـــه لـــم يختَـــر أن يولـــد مـــن تلك المرأة...

إنه أخي، ودمي، مثلما أنا ابنتك.

ســـــكتت الأم، وانهمـــــرت دموعهـــــا لأول مرة.

قررت ميادة أن تخبر سراج بالحقيقة.

دعتْـــه إلـــى لقـــاء خـــاص فـــي مقهـــى هـــادئ، وهنـــــاك نظـــــرت فـــــي عينيـــــه وقالـــــت: ســـراج... أنـــا لســـت مجـــرد زميلـــة لـــك فـــي الجامعة... أنا أختك.

تفاجـــأ، وضـــحك قلـــيلًا وقـــال: مـــا هـــذا المـــزاح من جديد؟

فأخرجت نتيجة تحليل DNA، ودفعتها أمامه.

قرأها سراج، وتغيرت ملامحه كليًا.

مرت لحظات صمت ثقيلة، ثم قال بصوت مبحوح: كل هذه السنين... وأنا أعيش دون أن أعرف من أنا؟

اقتربت ميادة منه وأمسكت يده:

-أعرف أنها صدمة، لكن نحن الآن معًا... ولن أدعك تبتعد عني بعد الآن.

وقف سراج، ومد يده ليحتضنها: أختي... يا من كنتِ أقرب مما ظننت.

تجتمع ميادة وسراج في بيت الجدة، التي تحتضنهما وهي تبكي، وتدخل الأم الغرفة بهدوء، تتردد قليلاً، ثم تقترب

مـــن ســـراج وتقـــول: ســـامحيني يـــا بنـــي... لـــم أكـــن أمـــاً لـــك، لكـــن إن أردت، ســـأكون من اليوم.

نظـــر إليهـــا ســـراج طـــويلاً، ثـــم قـــال: لـــن أســـتبدل عـــائلتي مهمـــا حـــدث... وســـامحتك من أجل أبي، ومن أجل ميادة.

بعـــد أن أصـــبحت ميـــادة قريبـــة جـــدًا مـــن ســـراج، وبعـــد أن علمـــت مـــن جـــدتها أن هنـــاك ســـرًا كبيـــرًا يخفيـــه الجميـــع، قـــررت أن تواصل بحثها حتى النهاية.

وفـــي أحـــد الأيـــام، وجـــدت ميـــادة صـــندوقًا قـــديمًا فـــي خزانـــة الجـــدة، عليـــه قفـــل صـــدئ. طلبـــت مـــن جـــدتها المفتـــاح، فحاولـــت منعهـــا، لكـــن إصـــرار ميـــادة كـــان أقـــوى مـــن كل شيء.

فتحت الصندوق... وكانت الصدمة.

وجـــدت داخلـــه أوراقًـــا مـــن مستشـــفى قـــديم فـــي مدينـــة طـــرابلس، باســـم "مستشـــفى الشـــفاء"، وتقريـــر ولادة مـــؤرخ بتـــاريخ قديم، مكتوب فيه

اسم الأم: فاطمة محمد عبدالسلام

اسم المولودين: سراج – ميادة (توأم)

اسم لأب: غير مُثبت

ارتجفـــت يـــدا ميـــادة، وفتحـــت ورقـــة أخـــرى كانت عبارة عن بلاغ مفقود:

بـــلاغ عـــن اختفـــاء رضـــيعة تُـــدعى "ميـــادة" بعد ساعات من ولادتها...

همســـت: إذن... أنـــا لســـت ابنـــة مـــن ربتني؟! أنا... أنا اختُطفت؟

هرعت إلى الجدة وهي تصرخ: جدتي، من هي أمي؟! من أنا؟!

بكت الجدة وقالت: لقد آن الأوان يا ميادة... من ربتك ليست أمك الحقيقية... إنها كانت الزوجة الثانية لرجل كان يحب امرأة تُدعى فاطمة — والدتك الحقيقية.

فاطمة أنجبت توأمًا: أنتِ وسراج...

لكن زوجة الأب — من ربتك — أصيبت بجنون الغيرة، خاصة عندما علمت أن زوجها السابق أحب فاطمة حبًا حقيقيًا...

فذهبت إلى المستشفى، وسرقتك بعد الولادة مباشرة... ثم اختفى الأب في حادث غامض.

صمتت الجدة قليلًا، ثم قالت: لقد ربتك كابنتها، لكنها لم تكن أماً حقيقية... وكانت تكره سراج لأنه كان يذكّرها بالمرأة التي انتزعت منها الرجل الذي أحبته.

انهارت ميادة باكية، وعقلها يصرخ إذن... سراج ليس مجرد أخي... هو توأمي!

وأنا... لا أعرف حتى وجهي الحقيقي في المرآة...

قررت ميادة أن تبحث عن أمها الحقيقية، وساعدتها الجدة بعد تردد طويل.

سافرت إلى مدينة طرابلس، وهناك في حي شعبي قديم، طرقت باب بيت صغير،

فتحتــه امــرأة شــاحبة، ترتــدي ثوبًــا بســيطًا، وتضع نظارات.

قالت ميادة: هل أنتِ فاطمة؟

قالت المرأة بدهشة: نعم، من أنتِ؟

نظرت إليها ميادة وعيناها تدمع:

-أنا ابنتك... ميادة.

ســـقطت فاطمـــة علـــى ركبتيهـــا تبكـــي، واحتضـــنت ابنتهـــا بعـــد عشـــرين عامًـــا مـــن الألم والحرمان.

اجتمـــع ســـراج وميـــادة وأمهمـــا الحقيقيـــة في بيتٍ واحد.

تحـــدثوا طـــويلًا، واحتضـــنوا بعضـــهم بعضًـــا، وقـــرروا تعـــويض كـــل الســـنوات التـــي خُطفت منهم ظلمًا.

أمـــا المـــرأة التـــي ربـــت ميـــادة، فقـــد انهـــارت بعـــدما اكتُشـــف ســـرها، وذهبـــت إلـــى الجـــدة باكيـــة تقـــول: أعلـــم أننـــي ســـرقت طفلـــة لا تخصـــني، لكنـــي أحببتهـــا كأنهـــا ابنتـــي، وكنت خائفة من فقدانها.

لكـــن ميـــادة واجهتهـــا وقالـــت: كنـــتِ قاســـية، وظالمـــة، وخائفـــة فقـــط علـــى نفســـك... لقـــد حرمـــتِ أمًـــا مـــن ابنتهـــا، وشـــقيقًا مـــن شقيقته... سامحتك، لكن لن أنسى.

وانتهـــت القصـــة بجمـــع الشـــتات، بعـــد أن اكتملـــت كـــل قطـــع الأحجيـــة، وعرفـــت ميـــادة أخيرًا من تكون...

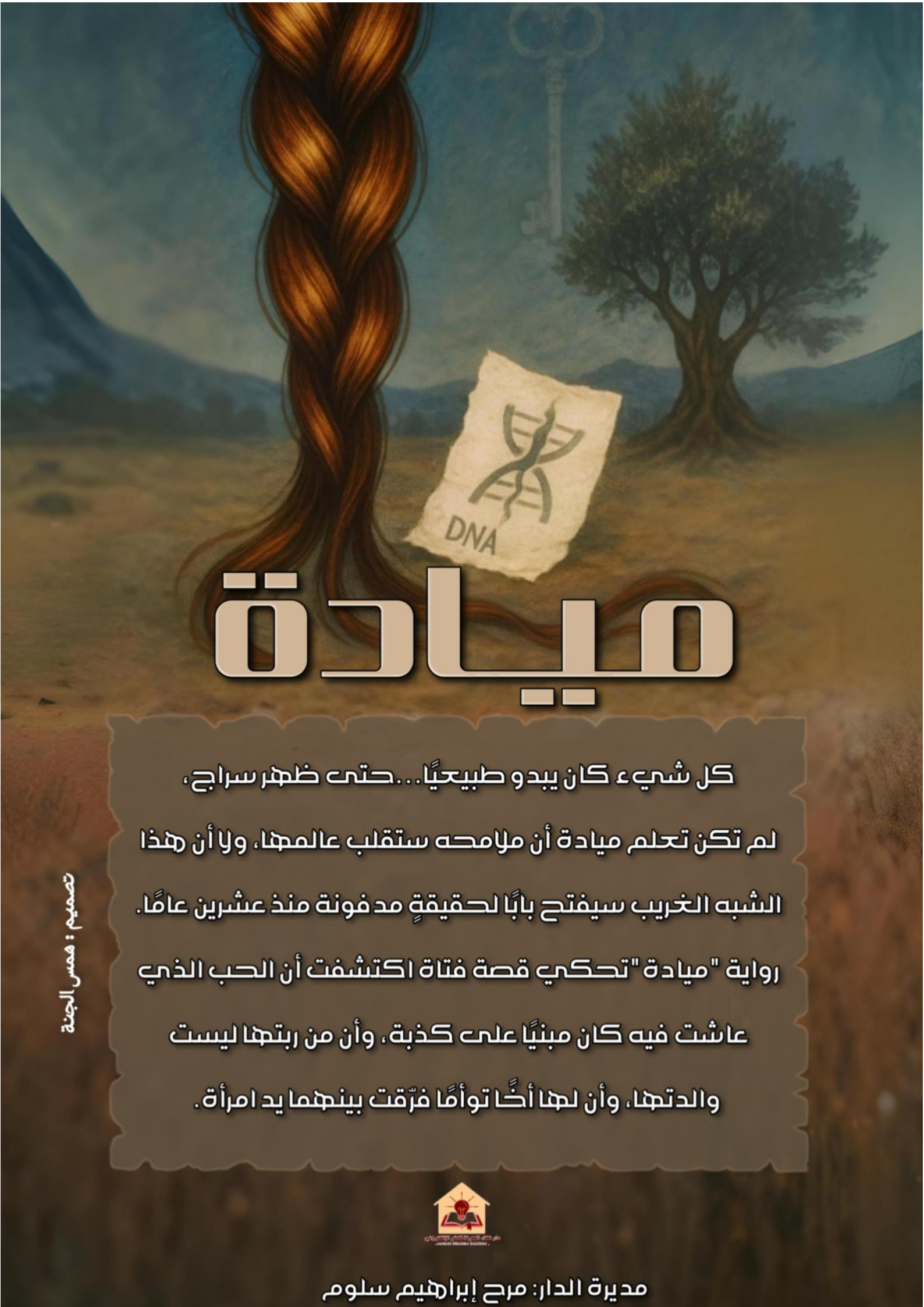

ميادة

كل شيء كان يبدو طبيعيًا... حتى ظهر سراج،
لم تكن تحلم ميادة أن ملامحه ستقلب عالمها، ولا أن هذا
الشبه الغريب سيفتح بابًا لحقيقةٍ مدفونة منذ عشرين عامًا.
رواية "ميادة" تحكي قصة فتاة اكتشفت أن الحب الذي
عاشت فيه كان مبنيًا على كذبة، وأن من ربتها ليست
والدتها، وأن لها أخًا توأمًا فرّقت بينهما يد امرأة.

تصميم : همس الجنة

مديرة الدار: مرح إبراهيم سلوم